ملفات المخابرات العراقية زمن النظام الوطني



اِلمهنة مُترجِم والوظيفة جاسوس

منشورات الطليعة

تونس 1992

مُتَرجم ...ولكنه جاسوس

في اليوم الثامن عشر من شهر كانون الأول عام ١٩٧٥ ، وصل شاب طويل القامة ، مركز الحدود في زاخو ، قادماً من الاراضي التركية ، تحدوه الرغبة لزيارة العراق ، ولم يكن معه سوى تذكرة مرور الى سوريا ، صادرة من السفارة السورية في صوفيا باسم محمد ابراهيم علي الكيكي تحت رقم ٧٥/٣٢ في ١٩٧٥/١١/٢٢ وقامت السلطات الأمنية في المركز الحدودي هذا ، بأستيقاف الكيكي ؛ للاستفسار عن سبب قدومه الى القطر ، بدون حصوله على وثيقة رسمية تسمح له بذلك ، ثم أحيل الى مديرية الامن العامة في بغداد

خلال التحقيق مع الكيكي ، أفاد بانه غير راغب في التوجه الى سوريا ، بعد ملاحقته ومضايقته من قبل افراد السفارة والمخابرات السورية في بلغاريا ، ولجوئهم الى سحب جواز سفره ، بحجة انه يلتقي مع الطلبة العرب والعراقيين منهم بصورة خاصة

والكيكي يبدو برشاقته وكانه أصغر من سنه ، فيما تبدو شخصيته وكانها اكبر من عمره بكثير .. فهي لاتقف عند حدود حلاوة اللسان ، وحسن التعبير ، واللياقة الادبية العالية ، بل ولتضفي عليه حسناً آخر ، هو هذا الحماس القومي ، وتطلعه للمستقبل العربي بنظرات عميقة ، تجمع بين نشوئه في حضن علاقات واسعة مع كبار الساسة في دمشق ، وثقافته في الخارج واختلاطه مع الطلبة العرب ثم هذه التعابير التي ترتسم على وجهه ، فتثير امام الناظر ، وكأنه امام وجه

ملفات المخابرات العراقية زمن النظام الوطني

من عهد الطفولة والكيكي يحاول باسلوبه الخاص زرع الثقة في نفوس الاخرين ، من خلال جسور العلاقات الودودة التي يمدها اليهم

والكيكي ولد في دمشق ، من ابوين سوريين عام ١٩٤٦ ، بمنطقة حي الاكراد (ركن الدين) حالياً ، وله ثلاثة اشقاء وشقيقتان . وقد سافر الى بلغاريا عام ١٩٦٦ ، بعد ان اكمل دراسته الثانوية في لبنان . وحصل على زمالة دراسية من الحكومة البلغارية ، عن طريق وساطة شخصية من خالد بكداش (زوج عمته) ثم تخرج عام ١٩٧٤ ، حاصلاً على شهادة الدبلوم في الاقتصاد

كان الكيكي يرتبط بعلاقة تنظيمية مع الحزب الشيوعي السوري منذ عام ١٩٦٧ ، الاّ انه أخذ يبدي تعاطفه مع مواقف العراق القومية ، بعد قيام ثورة السابع عشر من تموز عام ١٩٦٨ ، مما أثار حفيظة السفارة السورية في (صوفيا) ، واضطرها الى سحب جواز سفره ، بغية اجباره على العودة الى دمشق ثم حاولت السفارة السورية ، وبشتى الطرق الدبلوماسية بالضغط على السلطات البلغارية ، لكي لاتسمح للكيكي بالبقاء في بلغاريا ، بعد انهائه الدراسة الاّ انه استطاع البقاء لمدة عام بعد تخرجه ، على أثر توسط خالد بكداش لدى احد اعضاء المكتب السياسي للحزب الشيوعي البلغاري

خلال هذه الفترة ، كانت أغلب لقاءات الكيكي ، تنحصر مع أعضاء الاتحاد الوطني لطلبة العراق . وحينما تيقّن له بان العراق فتح صدره امام الاشقاء العرب بعد الثورة ، طلب من زملائه في (الاتحاد

الوطني) ، ان يساعدوه في مسألة تسهيل سفره الى العراق ، هرباً من الضغوط التي مارستها ضده أركان السفارة السورية ولكنه ، وقبل ان يتسنى لزملائه في الاتحاد الوطني مساعدته للسفر الى العراق ، آثر الاسراع بمغادرة بلغاريا للعودة الى سوريا عن طريق تذكرة المرور الى دمشق ، عبر الاراضي التركية ، وانه غيرَّ رأيه عند اقترابه من الحدود التركية السورية ففضل التوجه الى منطقة الحدود العراقية في زاخو ، ومن ثم الالتماس منهم مساعدته لدخول الاراضي العراقية هرباً من المخابرات السورية

بعد الانتهاء من استجواب الكيكي ، أفرج عنه ، وسمح له بالاقامة والعمل في العراق ، شأنه في ذلك شأن اي عربي اخر ، ليحظى برعاية وتقدير الحزب والثورة في العراق . ثم رفع طلباً للعمل في احدى دوائر الدولة ، وصدرت الموافقة على تعيينه في وزارة الزراعة والاصلاح الزراعي (مديرية المراعي الطبيعية العامة)

ونظراً لاجادته الترجمة الفورية من البلغارية الى العربية ، فقد أوكلت اليه مهمة ترجمة المراسلات والعقود الخاصة بالوزارة من البلغارية الى العربية ، ونقل الى موقع اخر أقرب الى اختصاصه في (المجلس الزراعي الاعلى) ، ثم أوكلت اليه مهمة مرافقة الوفود العراقية خلال زيارتها الى بلغاريا ، ومرافقة الوفود البلغارية خلال زيارتها القطر ، وحضور اجتماعاتها المشتركة مع نظيرها من الوفود العراقية ، وترجمة مقابلاتها مع كبار المسؤولين في القطر .

استطاع الكيكي ، من خلال هذه الزيارات واللقاءات المتكررة

مع المسؤولين ، ان يبني علاقات وطيدة ، ثم يحقق خارج العمل ، لقاءات شخصية وزيارات عائلية معهم كما استطاع الكيكي ، بحكم مواهبه وقدراته المتميزة في الترجمة ، ان ينال تلطيف وتكريم بعض اعضاء القيادة

أراد الكيكي ، بعد كل هذا التقدير وهذه الرعاية ، ان ينقل الى والدته في سوريا نسخاً من الصور التذكارية التي التقطت له خلال الزيارات والاجتماعات التي حضرها مع المسؤولين في العراق ، مع بعض الاعانات المالية ، لتطمينها واشعارها بمدى ارتياحه بين اشقائه وزملائه في العراق ، وليشعرها بان حياته تسير بشكل جيد ، وبخاصة بعد ان التحقت به زوجته البلغارية (بافلينا) ونجلها (جوان) الى بغداد .

لقد اطمأنت والدته كثيراً ، على أنباء النجاحات التي يحققها ولدها الكيكي في عمله ببغداد ، وزارته في داره الكائنة مقابل مقر الاتحاد العام للجمعيات الفلاحية ، كما وجَّه الى والدته دعوة اخرى لزيارته ببغداد ، بعد ان نقل سكناه الى دار اخرى بالقرب من قاعة الخلد . وكانت توصيه في كل مرة ، بأن لاينسى فضل الله عز وجل ، وان لاينسى العراق ورعاية رفاقه الذين احتضنوه بهذه الثقة

خلال أعياد تموز من عام ١٩٨٠ ، ذهب الكيكي الى أحد الرفاق في القيادة ، ملتمساً اليه مساعدته للسفر الى بلغاريا ، لغرض اكمال دراسته العليا هناك ، واستكمال علاجه الطبي ، حيث سبق وان

أجريت له عملية جراحية هناك . كما التمس في طلبه هذا ، ان يوكل اليه اي عمل في السفارة ، ليتمكن من اعالة عائلته التي سترافقه الى صوفيا

في٧/٨/١٩٨٠ صدر أمر تعيين الكيكي مترجماً في الملحقية التجارية العراقية في صوفيا ، وكان هذا اليوم في حياة الكيكي ، يحمل من البهجة والانشراح مالم تحمله ايام عمره باكملها ان يعود الى صوفيا ، ويواصل دراسته العليا ، ويستكمل علاجه ، ويعمل في السفارة ماذا يستطيع ان يقدم لهؤلاء الرفاق الذين أحاطوه بهذا الحنان؟.. وكيف يحصل على كل هذه الحقوق التي يحصل عليها العراقي بلا تفريق ، ودونما تمييز بين العراقي واي عربي اخر ، من اي قطر عربي كان هل سيردُّ هذا الفضل باستضافة هؤلاء الرفاق له عندما يزورون بلغاريا هذا لايكفي ، بل يجب ان يرد الجميل الى الحزب والثورة ، فهو فضل الحزب والثورة لاتاحته كل هذه الفرص الخيِّرة فعليه اذن ، ان يفكر بذكاء كيف يخلص لمسيرة الحزب والثورة ، وان لايدِّخر اي جهد تحتاجه مسيرة الثورة العربية

كانت بدايات شهر كانون الثاني من عام ١٩٨١ ، وكان الكيكي في صوفيا ، قد مضى عليه أسابيع من التحاقه بمهمته الجديدة ، يتنقل خلالها بين البيت والسفارة ، ووسائل اللهو في المساء

في احدى تلك الأمسيات ، كان الكيكي جالساً لوحده على طاولة في (كازينو الياباني) وحضر اليه احد أقاربه الطبيب وليد الكردي

(يقيم في صوفيا ومعروف بعلاقته مع المخابرات السورية) ، وكان برفقته تيسير البراوي الملقب(ابو كفاح) ومصطفى زين العابدين (ابو بسام – وهو احد ضباط المخابرات السورية) فرحب بهما الكيكي ايضاً ، وجلسوا سوية يتجاذبون أطراف الحديث ، والكيكي على علاقة قديمة مع (ابو بسام) تمتد الى عهد الطفولة

إستفسر ابو بسام من الكيكي عن احواله في صوفيا ، وعن عمله واختصاصه في السفارة ، فأجابه الكيكي بانه يعمل مترجماً في السفارة ، وانه مرتاح في عمله ، حيث العلاقات الرفاقية العالية ، والتعاون بين منتسبي السفارة بما لايجعلنا نشعر حتى بساعات العمل ..

الا ان البراوي وابو بسام ، لم يشعرا بالارتياح إزاء ما يطرحه الكيكي من صور متفائلة عن هذه الاسرة المصغرة لأسرة العراق القومي ، الطيب فقال له البراوي «انتبه على حالك ، وكن حذراً من العراقيين ، ومن علاقتك معهم» فاجابه الكيكي ، «بانه لم يلمس منهم أي شيْ يسيْ اليه ، بل على العكس ، فقد احتضنوه بكل رعاية وتقدير» فعلق ابو بسام : «موفق انشاء الله في عملك مع العراقيين»

ونهض الجميع على امل اللقاء في اليوم التالي وفي نفس المقهى

ترك الكيكي المقهى ، وفي رأسه اكثر من اضطراب لهذا اللقاء .. ولكل كلمة طرحت خلاله وراح يتساءل كيف عرفوا بانه يعمل في السفارة العراقية ، وعن عودته الى صوفيا ، وعن تشكيكهم بالعراقيين

وتخويفهم إياه من العمل معهم   ماذا لمس من العراقيين لحد الان لم يردوا له طلباً ، ولم يشعر معهم باي شيْ غير اعتيادي ، كما لم يطالبوه بشيْ لحد الان   فهو الذي توجه الى العراق ، وبدون موافقات رسمية استقبلوه ، وفتحوا أمامه ابواب العمل ، والعلاقات الرفيعة ، وهو الذي رفع طلبه الى القيادة ، بعد هذه السنوات من العمل ، والثقة ، والمحبة ، ملتمساً العمل في المؤسسات العراقية في الخارج ، وعلى وجه التحديد في صوفيا ، لاستكمال علاجه ومواصلة دراسته العليا ، وكان له كل مايريد   وكأنه واحداً من أسرة العراق   ألم يحمل هذا اللقاء في ثناياه عبارات من التشكيك والحقد والحسد ، .. إنه يريد ان يكون بعيداً عن هذه الأجواء وهذه الوجوه   ولماذا لايخبر السفارة عن هذا اللقاء ..؟.

التقيا مع الكيكي ، في كازينو الياباني ، وعرض عليه ابو بسام زيارة سوريا ، والالتقاء مع أهله ، فاجابهما بانه لايستطيع ، لان جواز سفره قد سحب منه ، فابديا له استعدادهما لمساعدته في الحصول على جواز سفر ، ثم عبرا له عن عدم ارتياحهما من الاجراءات السابقة التي اتخذتها السفارة السورية في سحب جواز سفره في عام ١٩٧٥ ، واعتبرا ذلك خطأً كبيراً قد ارتكب بحقه ، وطلبا منه ان ينسى ذلك الموقف ، وأبلغاه بأنهما سيعودان خلال هذا الاسبوع الى سوريا ، وانهما على استعداد لينقلا كل مايرغب إرساله الى أهله وأقاربه في دمشق   وكانت موافقة الكيكي بارسال رسالة مغلقة معهما الى والدته ، هي الخطوة الاولى على طريق السير وراء المخابرات السورية ، والتي أستقبلتها بكل لهفة ، وأحاطتها بجدار من الالتفاف والتطويق

للانتقال الى الخطوة الثانية

في الاسبوع الاول من شهر شباط ، اتصل الطبيب وليد الكردي تلفونياً مع الكيكي ، وأخبره بان ابو بسام والبراوي قدما الى صوفيا ، وانهما ينقلان اليه تحيات الأهل ، ويرغبان الالتقاء معه في بيته فرحب باستقبالهما ، وانه سيكون بالانتظار .

طرق وليد الباب ، وأسرع الكيكي لاستقبال ضيوفه الذين حظروا في الوقت المحدد . ولكنه لاحظ وجود شخص رابع معهم لم يره ولم يعرفه من قبل ، فقدمه وليد اليه ، بانه العقيد عدنان الحمداني الملقب (ابو محمد)

بعد احتسائهم القهوة طلب البّراوي من الكيكي ان ينتقل مع العقيد عدنان الى غرفة مجاورة بعد ان أخبره بان العقيد عدنان هو مسؤول المخابرات في الخارج ، وقد أوفده حافظ أسد شخصياً للالتقاء معه وفي الغرفة الأخرى من شقة الكيكي قال العقيد عدنان ان سوريا هي بلدك ، ونحن نريدك ان تتعاون معنا ، ومستعدون لتلبية كل طلباتك ، وقد وعدني حافظ أسد شخصياً ، ان يقدم لك كل ماتريد ، بما في ذلك منحك جواز سفر سوري واعفائك من الخدمة العسكرية ، بعد ان عرضنا عليه ملابسات سحب جواز سفرك ، وسوء معاملة السفارة لك في السابق ، مما اضطرك الى اللجوء للعمل مع العراقيين ، كما اطلعناه على صورك الشخصية مع المسؤولين العراقيين ، والتي كنت ترسلها الى والدتك ..»

ملفات المخابرات العراقية زمن النظام الوطني

ولم يجب الكيكي بشيءْ ، وبقي متردداً لايدري ماذا يقول فأجابه بارتباك «سأنظر بالموضوع» ولما لم يكن هذا الجواب مريحاً لهؤلاء المبعوثين ، إتفقوا على عودة العقيد الحمداني والدكتور وليد للالتقاء مع الكيكي والتأثير عليه نفسياً ، بحكم صلة القربى التي تربطه مع الدكتور وليد ، حيث انه زوج عمةِ الكيكي ، ولاعادة تخويفه من خلال تذكيره بالتهديدات التي تتعرض لها عائلته الموجودة في سوريا ، إذا ما أبدى رفضه التعاون مع المخابرات السورية

التقوا مرة أخرى ، وتحدث عدنان بحضور الدكتور وليد قائلاً لكيكي «وددت ان أوضح لك ، وقد فاتني في المرة السابقة ان أقول لك بان العراقيين سوف ينفذون بك حكم الاعدام اذا ما عرفوا بعلاقتك معنا هذا ، واننا نعرف عنك كل شيءْ ، وعلاقاتك مع المسؤولين العراقيين ، من خلال تلك الصور التي كنت تبعثها الى والدتك ، وهي محفوظة لدينا ونحن لانريد ان نهددك .. الأ انك وكما تعلم ، بان لك اخوان واخوات في سوريا ، واذا رفضت العمل معنا ، فان عاقبة الامور ستكون وخيمة عليهم وعليك .. ؟» وتحت وطأة هذا التهديد الصريح ، وليس المبطن ، بسحب العقوبة على الاهل والاخوان دون ذنب ارتكبوه سوى انهم اشقاء لهذا الباحث عن العمل والامان بعيداً عن ظلم وتعسف النظام الحاكم في سوريا كان الكيكي قد وجد نفسه مرغما للرضوخ ، الى هذه التهديدات ، فابدى لها موافقته على العمل لصالح المخابرات السورية ، فشدَّ عدنان على يده وقبّله مشيراً الى انه يستطيع أن يستفيد فائدة كبيرة ، كما يستطيع ان يخدمهم خدمة كبيرة ، بحكم سابق علاقته الوطيدة مع المسؤولين

العراقيين . ثم عاد وأوعده بانه سيعطيه أموالاً طائلة ، وان يسد حاجته فوراً اذا ماكان محتاجاً الى شيء الى هذا الوقت ، فطلب الكيكي منحه خمسة الاف دولار ، لحاجة أهله الى هذا المبلغ في دمشق ، فوافقه عدنان وأوعده بارسال هذا المبلغ اليه في أقرب فرصة . ثم انفرد به الدكتور وليد وهمس في اذنه طالباً منه منحه نصف هذا المبلغ الذي سيستلمه من المخابرات السورية ، لحاجته الماسة اليه

في اللحظة التي خرج فيها الحمداني والدكتور وليد ، كان احد موظفي السفارة العراقية بالقرب من الشقة التي يسكنها الكيكي في حي (كيوميليف) ، عمارة رقم ٢٠٤ ، قاصداً الالتقاء مع الكيكي ، ولاحظ نزول الكيكي بصحبة اثنين لم يرهما من قبل ، فأخفى نفسه بعيداً عن انظارهم ، وسجل رقم السيارة التي اقلت الدكتور وليد والحمداني ، وكانت مبادرته هذه تستند الى تعليمات سابقة تشير الى ان المخابرات السورية قد أوفدت عناصرها الى صوفيا ، للتحرك على المواطنين السوريين الذين يعملون في سفارات الأقطار العربية ، وبصورة خاصة ، السفارات العراقية ، ويلتقون مع العراقيين في الخارج .

بعد لحظات التقى هذا الموظف مع الكيكي ، ولم يشر الاخير باية إشارة الى التقائه مع العقيد الحمداني والدكتور وليد ، بل أثار شكوك زميله ، حينما أخبره بانه قد أستيقظ قبل لحظات من نومه فايقن هذا الموظف بان تعمده إخفاء نبأ هذه الزيارة ، يشير الى وجود شيء هام وخطير ، يدعو الى وضع كل خطوة من خطوات الكيكي موضع

التدقيق .

عاد هذا الموظف ، وأعد تقريراً الى دائرته يشير فيه بوصف دقيق الى الشخصين اللذين التقيا مع الكيكي ، ورقم السيارة التي أقلتهما ، وتقديره للموقف ، مع ملاحظاته عن الكيكي في تلك اللحظات ، ومقترحاته بهذا الخصوص .

درست مخابراتنا المعلومات الواردة في هذا التقرير ، واستطاعت التوصل ، بان هذين الشخصين هما من العناصر المعتمدة لدى المخابرات السورية ، وان رقم السيارة هو من بين الارقام الواردة في القائمة السوداء لدى مخابراتنا فقامت الجهة المسؤولة عن دراسة هذا التقرير ، برسم خطة تتضمن مايلي

- التحرك على الكيكي من منطلق رفاقي ، يعتمد أسلوب التنبيه غير المباشر ، من خلال إعادة تعميم المعلومات الواردة الى رئاسة المخابرات حول نويا المخابرات السورية بالتحرك على السوريين العاملين في السفارات العربية ، وعلى الاخص منهم ، الذين يلتقون مع العراقيين ، ويتم التعميم في هذه المرة ، عن طريق أحد المسؤولين في السفارة وعبر لقاء شخصي مع الكيكي ، لمعرفة ردود فعله بهذا الخصوص .

- وَضع الكيكي ، وفق برنامج سريع وشامل ، في دائرة المراقبة الدقيقة ، خلال فترات تواجده في الملحقية والبيت ، وخلال لقاءاته

الخاصة وجولاته

- تنفيذ البرنامج الأمني ، بعد التأكد من ردود فعله السلبية ، لمعرفة وتحديد المهمة الموكلة اليه من قبل المخابرات السورية .

كان الكيكي متهرباً ، خلال استماعه الى إعادة تعميم المعلومات ، مبدياً تذمره واستيائه من اساليب المخابرات السورية ، ثم كان من بين ردود فعله ، قوله بان الاشرار من عملاء حافظ أسد لن يتركوا العرب وابناء سوريا بصورة خاصة ، أن يعيشوا بامان ، بل وانهم صاروا ينغصون على ابناء سوريا ، حتى لقمة العيش.. وان ابناء الشعب السوري الان ، في حيرة من أمرهؤلاء الاشرار ، ولا يعرفون كيف يتعاملون مع عناصر هذا النظام ، ومع هذه المحنة ؟

ومع هذا فان اجابة الكيكي ، توحي بانه متورط بالعمل معهم ، رغماً عنه ، مما حدا بموظف السفارة ان يقول له «اذا ما حاولت عناصر المخابرات السورية التحرك عليك ، فمن الافضل إخبار السفارة باسماء هذه العناصر ، لضمان حمايتك من غدر هؤلاء الاشرار الذين عُرِفوا بغدرهم وتوريطهم للناس الآمنين» الا ان الكيكي عاد وباسلوب تضليلي الى التهرب ، مبدياً عدم ارتباطه باية علاقة مع عناصر المخابرات السورية ، محاولاً من جديد ، التظاهر بمهاجمة النظام السوري ، والتظلم من أساليبه وجرائمة

أما تقارير الرقابة ، فكانت تشير الى استمرار وانتظام اتصالاته

ولقاءاته مع الدكتور وليد والعقيد الحمداني ، كما كانت أشرطة التسجيل تشير الى ان اللقاء الأخير مع الكيكي ، تضمن البحث في كيفية تكليف الكيكي ، ودفعه الى استغلال علاقته مع المسؤولين العراقيين ، واستغلال ثقتهم به ، لتنفيذ عملية اغتيال الرئيس صدام حسين ، وانهم سيزودونه بتفاصيل الخطة لاحقاً

خلال وجوده في الملحقية أو في داره ، أو عبر جولاته ، فقد اتضح فيما بعد ، بانه على علاقة دائمة مع هذه العناصر ، وعلى وجه الخصوص لقاءاته المنتظمة مع الطبيب وليد ، وكل من براوي وابو بسام وبعض ضباط المخابرات السورية !

من هنا ، بدأت مرحلة جديدة من العلاقة الجديدة بين الكيكي والمخابرات العراقية ، تمخضت عن اكتشاف أمور غاية في الاهمية والخطورة ، كان ابرزها دفع الكيكي لاستهداف حياة الرئيس صدام حسين ، ووفق أخبث الاساليب وأخسها

في اليوم التالي ، جاء البراوي الى مسكن الكيكي حاملاً معه مظروفاً بداخله (٢٥٠٠) دولاراً ، كان قد بعث به العقيد عدنان اليه ، الذي انتقل فجأة بصحبة ابو بسام الى باريس ، بسبب وقوع حادث اغتيال زوجة عصام العطار .

ولم يكن الكيكي في هذه اللحظة موجوداً بداره ، فطلب البراوي من زوجته ان تسلم هذا الظرف الى زوجها ، دون إعلامها مابداخله

وفي مساء اليوم ذاته ، إتصل البراوي هاتفياً مع الكيكي ، واتفق معه للالتقاء في (كازينو الياباني) حيث انهما يترددان عليه باستمرار لغرض لعب القمار . ولدى حضور الكيكي أخرج البراوي ورقة تتضمن عبارات استلام المبلغ والتوقيع عليه ، فابتسم الكيكي ، ووقع بالفعل وطلب البراوي منه ان يقدم معلومات تتعلق بالوضع في العراق وحركة المسؤولين فيه

وبهذه الاساليب والممارسات نجحت عملية توريط الكيكي في العمل لصالح المخابرات السورية ، مستغلين فيه اكثر من نقطة ضعف ، ابتداءً من حاجته الى المال بسبب استسلامه الى حمى القمار ، الى التاثير الشخصي للطبيب وليد بصفته زوج عمته ، وانتهاءً الى تهديده بالتنكيل به وباخوته وباخواته

لكن الكيكي ، ورغم إنقياده الى ضعفه وخوفه واستسلامه ، لم يكن مرتاحاً ، كما انه شعر بمرارة المأزق ، ومرارة الاستمرار بمجاراة المخابرات السورية ، ومرارة خيانة الثقة التي منحها له العراق ، وشعبه ورفاقه لقد تجاوز في نفسه مدى الثقة ، واصبح في مواقع الخيانة كيف استطاع الانتقال وبهذه السرعة من تلك المواقع الى هذه المواقع الخوف يحمل الانسان في الغالب الى المواقع الدنيا كما يحمله اليها الطمع ولكن هناك أشياء كثيرة تفوق الخوف والطمع والتردد .. هي قوة الانتماء للمبادئ قوة الولاء للحق قوة العقل في تجاوز الصعاب ومغالبة الاعداء والانسان الذي يتفاعل مع المبادئ والحق بما لديه من عقل وارادة ، لن يجد نفسه أسير الخوف

والحيرة والحزن كما انه سيجد في نفسه من الاختيارات الصعبة ما تجعله يرتقي بنفسه وباستمرار فوق مغريات الاعداء ومهاوي الوقوع في حبائلهم

بل ان الكيكي لم يكن مرتاحاً لطبيعة نهج ومطامع وليد ، حيث انه يعلم بان وليد سيقاسمه المبالغ التي تدفعها له المخابرات السورية ، وطلب من البراوي ان يبلغ العقيد عدنان برغبته بالارتباط مع مسؤول اخر ، فوعده البراوي خيراً

طلب البراوي من الكيكي خلال هذا اللقاء ايضاً ، وبحكم سابق انتمائه الى الحزب الشيوعي السوري وصلة قرباه من خالد بكداش ، ان يقوم بتزويد المخابرات السورية بكافة اسرار الحزب الشيوعي السوري ومواقفه من الحكومة السورية ، وكل مايقع تحت يديه من وثائق تتعلق بالحزب الشيوعي في سوريا او في الاقطار الاخرى ، مستفيداً من تردده على بيت خالد بكداش عند زيارته عمته وقد اكد البراوي للكيكي بان العقيد عدنان سيزيد المبلغ الذي اتفقا عليه من (٥٠٠٠) دولار الى (٧٠٠٠) الاف دولار ، وان ذلك يتوقف على المعلومات التي سيزودهم الكيكي بها وهنا ،أكد الكيكي استعداده لتزويدهم بما يريدون من معلومات ، وأداء كل مايأمرون به من مهام

قبل عودة البراوي الى دمشق ، إتصل بالكيكي وأخبره بأن العقيد عدنان وافق على طلبه بابدال اتصاله مع شخص اخر ، وان العقيد

عدنان يرجوه عدم الألتفات الى تصرفات وليد بهذا الخصوص ، وان الامور ستسير كما يريد وبما يرضي كل رغباته ... وان الشخص الذي سيتصل معه سيفاتحه للتعريف بنفسه بكلمة سر «العقيد عدنان يسلم عليك ..». ثم ذكر له ايضاً بان عدنان سيعرفه على بعض عناصر المخابرات السورية في كل من بلغاريا واليونان ورومانيا والاتحاد السوفيتي .. وهنا استفسر الكيكي عن العناصر التي تتعاون مع المخابرات السورية ، فذكر له بعضهم ..(ابو خالد) و (ابو بشير) و (ابو نبيل)

ظلّت المخابرات العراقية ، ووفق سياقات عملها الخاص ، تراقب الكيكي مراقبة سرية ودقيقة ، وتدرس المعلومات التي ترد الى الملحقية التجارية التي يعمل فيها الكيكي ، لمعرفة مدى تسربها الى المخابرات السورية ، كما عمدت في بعض الاحيان ، أن تعبّر للكيكي معلومات لا صحة لها ، ولكنها كانت تسيل لعاب المخابرات السورية ، لهفة وراء معرفة المزيد .. ومن خلال هذه وتلك أستطاعت المخابرات العراقية التثبت بما لايقبل الشك ، من خلال دليل آخر يؤكد ارتباط الكيكي مع المخابرات السورية نتيجة وصول تلك المعلومات المعبرة الى مركز مخابرات حافظ أسد بدمشق

استمر الكيكي في تزويد المخابرات السورية بالمعلومات التي يطلع عليها بحكم عمله في الملحقية التجارية ، مع معلومات خاصة حول السفارة والعاملين فيها ، والاتفاقيات الموقعة بين العراق وبلغاريا في المجال الاقتصادي والتجاري ، بالاضافة الى معلومات تتعلق بحركة الوفود والمسؤولين العراقيين بين بغداد وصوفيا حيث نقل خبراً مفاده ان

الرئيس صدام حسين سيقوم بزيارة الى بلغاريا نهاية عام ١٩٨١ ، ولما استفسرت المخابرات السورية منه عن تاريخ تلك الزيارة ، أخبرها بأن وقت الزيارة غير محدد ، ولكنه يستطيع ان يخبرها بالبروتوكول الخاص بالزيارة قبل موعدها لغرض التهيؤ والاستعداد لوضع خطة اغتيال الرئيس صدام حسين في خلال الزيارة .

ولغرض الوقوف على الأدلة الثبوتية التي تدين الكيكي عن قرب ، أرسلت المخابرات العراقية أحد ضباطها الرفيق (رمضان) الى صوفيا ، تحت غطاء اجراء الفحوصات الطبية ، فكان من الطبيعي ان يستعين بمن يجيد اللغة البلغارية من العاملين في السفارة العراقية فتم اختيار الكيكي لهذا الغرض وفق خطة مدروسة ، للقيام بمهمة إعانة الرفيق رمضان خلال مراجعته الأطباء المختصين ، مما ادى الى توثيق العلاقة بين رمضان والكيكي الى درجة انهما أصبحا يقضيان أغلب أوقاتهما على انفراد

حضر رمضان ، الى دار الكيكي مرات عديدة ، مما مهد له دراسة الدار وموقعه بصورة دقيقة ، ودراسة كيفية زرع غرفة الأستقبال بلاقطة تسجيل وقد ساعده في ذلك اثنان من رفاقه التحقا به لهذا الغرض

بعد أيام انتزع رمضان شريط التسجيل وفحصه ، لكن هذا الكاسيت لم يأت بمعلومات ثبوتيه بارزة تدين علاقة الكيكي مع المخابرات السورية

عاد رمضان وزرع بيت الكيكي من جديد ، ثم أبلغ الكيكي بانه سيغادر صوفيا لفترة متجهاً الى يوغسلافيا ليزور شقيقه هناك ، ومن ثم يسافر الى هنغاريا ورومانيا ، ويعود بعدها الى بلغاريا لاستكمال فحوصاته الطبية وكان رمضان يهدف من وراء ذلك ، اعطاء الكيكي فرصة التخلص من شكوكه به ، واتاحته فرصة أوسع للالتقاء مع المخابرات السورية

خلال سفر رمضان الى يوغسلافيا ، أتصل (ابو نبيل) احد عناصر المخابرات السورية مع الكيكي ، ثم التقى معه في داره لأبلاغه ببعض الأمور والتوجيهات واعقبتها لقاءات متكررة بين الكيكي وضباط المخابرات السورية ، وكانت أغلب هذه اللقاءات تدور في بيت الكيكي ، كما توضحها كاسيتات التسجيل حيث قام رمضان ورفيقاه باختراق دار الكيكي والحصول على التسجيل السري الذي تضمن أحاديث مطولة ، ومعلومات دسمة تدين بلا لبس ولاغموض ، تورط الكيكي وعمله لصالح المخابرات السورية . كما ورد في هذه التسجيلات إشارات حول التمهيد والتخطيط لاغتيال الرئيس صدام حسين ، وكان من بين ماورد في هذه التسجيلات

أبو نبيل كيف تسير الامور ، وماهي أخبارك الجديدة ؟

الكيكي بخير والحمدلله حصلت على معلومات جديدة ومهمة ، وهي أن صدام حسين سيقوم بزيارة صوفيا نهاية العام الحالي .

أبو نبيل ما هي مصدر معلوماتك ؟

الكيكي هذا ما سمعته من مصدر دبلوماسي في السفارة العراقية

أبو نبيل هل بامكانك تزويدنا بمعلومات دقيقة عن وقت وصول صدام حسين الى صوفيا ، وفي أي وقت تعرف ذلك ، حتى ولو قبل يوم من وصوله ، لان ذلك أمر ضروري .. ؟

الكيكي هذا ممكن وهو أمر سهل ..

أبو نبيل أخ محمد .. أعود وأؤكد ضرورة الاسراع بأخبارنا متى ما حصلت على هذه المعلومات ، لنستعد الى العملية

الكيكي وهل سننفذ العملية هنا في صوفيا ؟

أبو نبيل نحن نتربص لتنفيذ أغتيال هذا الرجل في أي مكان تسمح لنا الظروف بذلك .. وسيكون لك دور أساسي في هذه العملية

الكيكي وكيف ؟ (وجاء أستفساره هذا بلهفة وقلق) كيف سأنفذ هذه العملية وانتم تعلمون مدى الحراسة المشدده على صدام حسين ..

أبو نبيل لاتقلق بهذا الخصوص وانا لا أكتمك بان المبلغ الذي خصصه لك الرئيس حافظ أسد ، سيجعلك واحداً من أصحاب الاموال ، وقد وعدني شخصياً بذلك وانت ستكون واحداً من المقربين الى صدام حسين ، بحكم قيامك بمهمة الترجمة وتستطيع من خلال ذلك أن تقدم لنا خدمة عظيمة

الكيكي ولكن هذا أمر صعب ، حيث سيرافقه في السيارة السفير أو القائم بالأعمال الاّ أن هناك حالة واحدة فقط ، أذا وقع الاختيار علي لمرافقته كمترجم ، فسيكون عندها ممكناً أن أضع قنبلة في السيارة .

أبو نبيل عال فكرة جيدة ونحن نتعهد باخراجك من بلغاريا والعودة بك الى دمشق ..

الكيكي أرجو أن يكون موضوع أرتباطي بكم سرياً وتقليل اتصالاتكم بي ، لأنه في حالة أنكشاف اتصالاتنا سيفشل مخططنا وتنتهي حياتي

أبو نبيل لا سامح الله أبو جوان .. حياتك غالية علينا

بعد أن توفرت الادلة الثبوتية ، وتأكدت القناعة لدى المخابرات العراقية حول دور وتواطؤ الكيكي مع المخابرات السورية ، وضعت

خطة لاستدراجه الى بغداد . وكانت الخطةتتضمن عودة رمضان من بلغراد بحجة عدم أستطاعته مواصلة برنامج زياراته بسبب توعك صحته والالتقاء مع الكيكي

التقيا بعد أسبوعين من أفتراقهما ، وابدى الكيكي عبارات التأثر لسوء حالة رمضان الصحية ، فاجابه رمضان هذا هو السبب في قطع برنامج زيارتي لاستكمال فحوصاتي ، والعودة الى بغداد .. واكد على الكيكي ضرورة الالتقاء معه في بغداد ، وانه لن ينسى له جميله هذا فاجابه الكيكي بان دعوة قد وردته من بغداد ، وانه سيحضرها في بداية الاسبوع القادم ، فقال له رمضان اذن لنرتب عودتنا الى بغداد على نفس الطائرة .. ورحب الكيكي بالفكرة ..

حطّت الطائرة في مطار بغداد الدولي ، ونزل منها رمضان والكيكي بعد نزول أعداد من المسافرين ، وكان باستقبالها عائلة رمضان واصدقائه .. وعرّفهم على صديقه الكيكي ثم وبعد مغادرتهم جميعاً أرض المطار طلب رمضان من أحد اصدقائه ان يحجز للكيكي في احد فنادق بغداد الممتازة ، وان ينظموا له جدولاً سياحياً طيلة فترة اقامته في بغداد .

قال الكيكي ، انا لست غريباً عن بغداد ، وارجو ان لاتكلفوا انفسكم .. وهو يستدير بنظراته ومسامعه الى وجوه اصدقاء رمضان ومحيطهم منذ نزوله الطائرة ، وفي صالة الاستقبال كل شيْ طبيعي ، ولايوجد اي أثر للمراقبة واصدقاء رمضان لم يكونوا من

المخابرات العراقية ، وهو يتجه فعلاً الى فندق بغداد ، ولو كان الأمر خلاف ذلك لأتجهوا به الى أقرب مركز للتحقيق معه

الليلة الاولى في بغداد .. وفي فندق بغداد .. حيث كل شيء لايدعو الى الشك او الخوف بالنسبة للكيكي ، فهو يواصل اتصالاته مع اصدقائه ببغداد ، والاتصال هاتفياً مع زوجته في صوفيا ، مثلما يواصل جولاته في جميع انحاء بغداد .. بلا رقابة ولا متابعة بالرغم من محاولته إخفاء اخطر سر في داخله ، بل اسوأ وأخبث عمل

في الصباح التقى معه رمضان ، وهو في الوقت الذي يأمل فيه معرفة كل شيء عن الكيكي في بغداد ، كما عَرف بالأمس كل أسراره في صوفيا ، فأنه يحرص كل الحرص على ان يكون الكيكي في مأمن من كل طاريء طيلة فترة تواجده ببغداد .. وذلك من خلال وضعه تحت حماية رقابة لايمكن ان تفلت من سيطرتها حتى الهمسة

مع إطلالة اليوم العاشر من زيارة الكيكي الى بغداد ، او بالضبط في صباح اليوم الذي اعتزم فيه العودة الى صوفيا استقل الكيكي سيارة أجرة قاصداً زيارة أحد المحلات في الكرخ ، ولكن سائق السيارة إستدار بسيارته نحو اليمين ، بعد ربع ساعة من السير في الشوارع المؤدية الى المكان المقصود ودخل فجأة الى شارع فرعي ، فاستوقفه الكيكي ، الا ان السائق ابتسم وقال له «هي مجرد لحظات اذا سمحت ..» وفوجيء الكيكي بحرس الباب وهم يؤدون التحية العسكرية لسائق السيارة تغيرت ملامح الكيكي ولم يعد هناك

مايدعوه الى الاستفار من هذا السائق عن سبب استدارته المفاجئة هذه ، ولا الاستفسار منه عن سبب دخوله المفاجيء الى هذا المبنى وبهذه البساطة مبنى رئاسة المخابرات فالسيارة البسيطة هذه ، انما تدخل به الى نفسه دون لبس او مواربة ، فكل خطوة من خطواته متوقعة ، ومحسوبة ومعروفة من قبل المخابرات ، بحيث انه حينما أشار الى سائق الأجرة وهو يمشي بمفرده في ذلك الشارع العام ، وقف له ضابط المخابرات هذا ، لينقله بهذه البساطة الى مبنى المخابرات

نزل ضابط المخابرات من سيارته ، وقال للكيكي «تفضل استاذ محمد» أدرك الكيكي وقتها ، مدى حجم الرقابة التي كانت تحيط به ، وتتابع كل تحركاته واتصالاته وأدرك ان هذه الرقابة ما كانت لأمر هينٍ انها الرقابة التي عاشت معه منذ اللحظات الاولى التي تورط فيها مع مخابرات النظام السوري .

إصطحبه الضابط الى مكتب التحقيق ، حيث كان هناك عدد من ضباط التحقيق بانتظاره سأله رئيسهم انت محمد ابراهيم علي الكيكي ؟ وهذا ايضاً لم يسأله عن اسمه ، فالتحقيق عادة يسأل المتهم عن اسمه وعمره وعنوانه وقال قاضي التحقيق للكيكي نحن نعرف كل علاقاتك وبصورة خاصة علاقتك مع المخابرات السورية مع البرّاوي وابو نبيل ، واشتراكك معهم في التخطيط لاغتيال الرفيق القائد صدام حسين ..

إنهار الكيكي فهو اذن وقع في قبضة المخابرات العراقية ، رغم

حذره الشديد ، وكان من بين عباراته   لقد وقعت في قبضة المخابرات   ولم يعد أمامي سوى ذكر حقيقتين

أولاهما   خيانتي للعراق الذي احتضنني وانقذني من التشرد .

وثانيهما   الاعتراف امام التحقيق بكل حلقات مسلسل تجنيدي من قبل المخابرات السورية لتنفيذ اغتيال الرئيس صدام حسين ..

وحول الحقيقة الثانية ، أقول   ان عملية الاغتيال كانت بايعاز من حافظ اسد واشراف كل من رفعت الاسد ومحمد ذياب (مستشار الأمن السوري) والعقيد عدنان (مسؤول فرع الامن في الخارج) وكانت خطة الاغتيال تعتمد على محاولتين   إما ان يتم تنفيذ اغتيال الرئيس صدام حسين عند زيارته المرتقبة الى بلغاريا نهاية هذا العام حيث أنني ابلغت من قبل عناصر المخابرات السورية بأنني سأكون قريباً من الرئيس صدامّ حسين ، وان اكلف بمهمة الترجمة للرئيس صدام .. وفي كلتا الحالتين سيكون بمقدوري وضع قنبلة موقوته في السيارة التي سيستقلها ، وترك المكان في الحال

أما المحاولة الثانية ، فيتم تنفيذها ببغداد ، اذا ما تمت الموافقة على نقلي الى بغداد ، وهي حالة متوقعة لانني قدمت طلباً بهذا الخصوص ، وحصلت على موافقة مبدئية بذلك   وكنت أنسق مع المخابرات السورية على الساحتين في آن واحد ، وتنفيذ اي المحاولتين متى

ماسنحت الفرصة ، حيث كان مقرراً ضمن المخطط ، ان أقوم بوضع قنبلة موقوته في مقر عمل الرئيس صدام حسين ، مستغلاً في ذلك علاقاتي الشخصية مع بعض المسؤولين في القيادة والذين كانوا يعملون لترشيحي الى أحد المكاتب العليا ، مما يسهل لي ايصال ما أريد إيصاله الى اماكن تواجد الرئيس صدام حسين ..

وقد وعدني حافظ اسد بمبلغ (٥) ملايين دولار ، مكافأة لي منه في حالة نجاح مهمتي بتنفيذ عملية الاغتيال مع منحي سيارة وبيت في دمشق كما وضع تحت تصرفي مبلغ ربع مليون دولار لاستخدامها في تغطية نفقاتي وتسهيل مهمتي في بغداد ، بالاضافة الى مبلغ عشرة آلاف دولار للتصرف بها في صوفيا

إسمحوا لي أن أبين لكم معلومات أخرى ، لم يبق لي مايبرر حجبها أو إخفاءها على التحقيق ، وهي أنني رأيت السيد برزان التكريتي رئيس المخابرات العراقية يسير في أحد شوارع صوفيا ومعه عدد قليل من أفراد الحماية ، فأبلغت المخابرات السورية فوراً بهذا الأمر ، وفي اليوم التالي ، أتصل بي العقيد عدنان في الساعة الثامنة والنصف صباحاً ، واستفسر مني عن مكان تواجده وتردده خلال هذه الزيارة ، وقد أطلعت بنفسي على مخطط تنفيذ اغتياله مع عدة التنفيذ التي جاءني بها أبو كفاح ، وأخبرني بان حافظ أسد قرر منحي مبلغ مليون دولار عند نجاح عملية أغتيال برزان التكريتي ، ولكنني لم أستطع تنفيذ هذه العملية بسبب مغادرته بلغاريا بصورة مفاجئة

قاضي التحقيق الا تعتقد بان تنفيذك لعملية أغتيال السيد رئيس

المخابرات ستحول دون تنفيذك المهمة الأساس باغتيال الرئيس صدام حسين .. ؟

الكيكي : لم يعد مهماً ، بالنسبة لي ، النظر الى ما هو أساسي وغير أساسي .. كنت كمن يسير في رحلة عمياء بلا هدف وبلا مبدأ وهي اذن بلا عقل يفكر .. وهذا شأن من عملت بغباء معهم ..

قاضي التحقيق وحينما صدر أمر نقلك الى بغداد ، الم يساورك الشك بان المخابرات العراقية نفسها كانت وراء استدراجك للعودة الى بغداد .. ؟

الكيكي لا حيث ان تزامن صدور أمر نقلي الى بغداد مع الدعوة الموجهة لي لحضور المؤتمر ببغداد ، أشعرني بأن كل شئ طبيعي خاصةً وانني كنت المبادر للتوسط بنقلي الى أحد المكاتب العليا في القيادة ببغداد ..

وكان أمل المخابرات السورية كبيراً بنجاحي في هذه المهمة ، بعد أن ابلغتها أخيراً بصدور أمر نقلي ، وحزمت حقائبي أستعداداً للعودة الى بغداد ، ولم أكن أعرف أنني أقوم برحلتي الأخيرة ، حيث المصير المحتوم .

أن الانسان يسهم بغدر نفسه ، حينما يسير على طريق الغدر ..

ملفات المخابرات العراقية زمن النظام الوطني

وانه على قدر ما يخفي من ممارسات الخيانة ، فانها مكشوفة لا محالة أن غباني وعقوقي جعلني لا أعلم أن بغداد التي أحاطتني بالرعاية والحنان والحب العفوي ، ستقدر في يوم ما على أكتشاف خيانتي ، وغدري ، ونكراني للجميل

كانت خطورة مهمة الكيكي ، تكمن في خطورة اللعب على الحبلين أمام من يجيدون تقطيع هذه الحبال

منشورات



تونس 1998